الدولة الصفوية الأولى

أو

٩١٤ هـ - ٩٤١ هـ

الدولة الفارسية السادسة فى العراق

تمهيد :

أسس الدولة الصفوية فى إيران إسماعيل بن حيدر بن جنيد بن الشيخ صفى الدين الاردبيلى الصوفى وسميت بهذا الاسم نسبة إلى صفى الدين المذكور . وليس لهذا البيت قرابة مع إحدى العائلات المالكة فى إيران ولا فى غيرها ولا كانت تعرف هذه السلالة بغير رئاسة التصوف بادئ بدء ثم قوى أمرها على عهد جنيد وكثر اتباعها وأشتهرت وظل أبناؤها يتدرجون فى الزعامة على اتباعهم شيئاً فشيئاً حتى عظم شأن حيدر بن جنيد ولما مات نهض ابنه إسماعيل وجمع الجموع – وكان حازماً عالى الهمة – فحمل على أذربيجان سنة ٩٠٥ هـ واستولى عليها ثم على شيروان سنة ٩٠٦ هـ ثم على ما وراء النهر فبلاد فارس فخراسان فالعراق العجمى فكردستان فديار بكر وأسس مملكة واسعة الأطراف وهو أول ملوك الدولة الصفوية وأول ملوك فارس الذين تلقبوا بالشاهات (أى السلاطين) .

استيلاء الشاه إسماعيل على العراق

دخلت سنة ٩١٤ هـ فطمع الشاه إسماعيل فى العراق وصاحبه يومئذ السلطان مراد (أو مراد بك) التركمانية [١] وكان قد أناب عنه على العراق أحد رجاله الأمير مبارك (بارك) فحمل الشاه على العراق قاصداً بغداد وأرسل فى مقدمته أحد قواده المدعو لا لأحسن فحاصر بغداد وعجز أميرها عن الدفاع وانتصر القائد الفارسى على حامية المدينة واحتلها عنوة فى السنة نفسها وعلى أثر ذلك توجه الشاه إسماعيل إلى بغداد فلما دخلها فتك بأهلها من السنة والنصارى ثم سار عنها واستناب عنه نائباً فيها وترك قسماً من جنوده لحماية المدينة وعاد إلى مقره بعد أن زار العتبات المقدسة وخضعت له أكثر المدن العراقية .

أما السلطان مراد فأنه فر مستجيراً بالملوك الأمراء فأمدوه بالجيوش والأموال فألف جيشاً كبيراً وسار به لا سترداد بغداد فتمكن فى سنة ٩١٦ هـ من طرد جيوش الشاه منها فعادت إليه هى وما يتبعها بعد أن ملكها الفرس نحواً من سنتين (أى سنة وبضعة أشهر) وكان الشاه إذ ذاك مشغولاً فى حروب خراسان فلما انتهى منها تهيأ لأخذ بغداد ثانية وحمل عليها بجيش عرعرم وقاتل السلطان مراد حتى قهره وطرده واستولى على بغداد عنوة سنة ٩٢٠ هـ (وهى المرة الثانية) فانقرضت دولة الخروف الأبيض التركمانية من العراق بعد أن ملكته ٤٤ سنة تقريباً. منها نحو الأربعين سنة (٨٧٤ هـ - ٩١٤ هـ) قبل إغارة الشاة

---

[١] وكان إذ ذاك ملكاً على العراقين (العراق العجمى والعراق العربى) وبلاد فارس .

الأولى ونحو الأربع سنوات قبل الغارة الثانية . وأول ملوك تلك الدولة حسن بك المعروف بحسن الطويل وآخرهم السلطان مراد بك هذا وهى التى قامت فى العراق على أنقاض دولة الخروف الأسود (قرة قو يونلى) التركمانية [١].

ولما دخل الشاه إسماعيل بغداد ثانية أعاد القتل وأعمل السيف بالسنة والنصارى وفتك بهم ولم يمس اليهود بسوء لأنهم تجسسوا له قبل دخوله بغداد وبعده . وغالى فى الانتصار لمذهب الشيعة واتباعه وأعلن المذهب الشيعى رسماً فى مُلكته وبالغ فى اضطهاد من بقى من السنة حتى أنه أجبر كثيرين منهم على التشيع.

وبعد أن أستتب أمر الشاه فى العراق (بغداد والبصرة والموصل وما يتبع ذلك) ولى على العراق ببغداد أحد رجاله إبراهيم خان وعاد إلى مقره ثم أمر فأعيد بناء حرم الكاظمين والقبة التى على الضريحين سنة ٩٢٦ هـ [٢] . وأمر بكرى النهر الذى كان قد احتفره علاء الدين عطاء الملك حاكم العراق من قبل هوكو وجره من الفرات إلى مدينة النجف لأن الرمال كانت قد تراكمت فيه وسدت مجراه فسمى بالنهر الشاهى [٣].

---

(١) ودولة الخروف الأسود هى التى أخذت العراق من الجلائريين الذين جاؤوا بعد الدولة الايلخانية التى قرضت الدولة العباسية على يد زعيمها هولاكو .

(٢) ولكنه لم يتم بناء الحرم فأتمه السلطان سليمان القانونى حينما فتح بغداد وبنى مأذنة لازالت حتى اليوم باقية وهى أول مأذنة بنيت هناك .

(٣) وهو المعروف الآن بنهر الهندية نسبة إلى آصف الدولة أحد أمراء الهند فى لكنهور الذى كراه عند مجيئه الى العراق لزيارة قبور الأئمة سنة ١٣٠٩ هـ .

الشاه طهماسب الأول وذو الفقار الكردى

ولما مات الشاه إسماعيل (٩٠٥ هـ - ٩٣٠ هـ) وجلس مكانه ابنه طهماسب الأول طمع فى العراق الأمير ذو الفقار ابن نخوذ سلطان رئيس قبيلة موصلو من عشيرة كلهور الكردية الذى كان مستولياً على أطراف لورستان[١] فحمل بالكلهوريين على بغداد وحاصرها أربعين يوماً فأستولى عليها فى سنة ٩٣٠ هـ [٢] وأسس بها دولة كردية وأحسن السيرة والتدبير حتى ملك العراق كله تقريباً وخاف من طهماسب الأول فأحتمى بالسلطان سليمان القانونى العثمانى وخطب له على المنابر وضرب بأسمه السكة وأرسل وفداً لعرض خضوعه والدخول تحت سيادته ولكنه لم يكد يستريح حتى حمل عليه الشاه طهماسب الأول سنة ٩٣٦ هـ الموافقة لسنة ١٥٣٠ م فأستعد له ذو الفقار وتحصن فى بغداد فحاصرها الشاه أياماً حتى عجز عن استرادها لحصانة أسوارها فأضطر لاستعمال الحيل والخداع حتى تمكن من اغراء أخوى ذى الفقار وأطمعهما بالمناصب والأموال فأغتالا أخاهما وقتلاه (وقيل مات مسموماً) وفتحا أبواب المدينة فدخلها الشاه فى السنة نفسها ٩٣٦ هـ وانقرضت الدولة الكردية التى لم تدم إلا نحو ست سنوات.

---

(١) لورستان هو أقليم الأهواز أو عربستان ويسمى جبال البختيارية أيضاً .

(٢) وفى رواية كان استيلائه على بغداد سنة ٩٣٤ هـ فأستردها منه الشاه طهماسب سنة ٩٣٥ هـ ولكنها ضعيفة .

دخـــل الشاه كهماسب بغداد فسلمت له المدن العراقية كلها تقريباً فأعاد أعمـــال أبيه فى دار السلام من اضطهاد السنة والفتك بهم ثم ولى على بغداد بكلو محمد خان وفوض إليه شؤون البلاد العراقية وسار هو عائداً إلى مقره . وظل رجاله فى العـــراق يضطهدون ابناء السنة ويحكمون بما تشتهية نفوسهم مما حمل السلطان ســـليمان القانونى على الانتقام من الفرس انتصاراً لابناء مذهبه السنة فصمم على فتح العراق وأخذه منهم .

خروج العراق من يد الفرس

دخـــلت ســـنة ٩٤٠ هـــ الموافقة لسنة ١٥٣٥ م فعزم السلطان سليمان القـــانونى على أخذ العراق من الفرس فأرسل إبراهيم باشا الصدر الأعظم والقائد العام بجيش كبير لقتال الشاه طهماسب الأول وسار هو فى أثره بجيش آخر فدخل إبراهـــيم باشا تبريز أولاً بالأمان ثم سار منها قاصداً بغداد فلما أقترب منها هرب حاكمها الفارسى بكلو محمد خان بجيوشه خوفاً من الاسر فسلمت المدينة وفتحت أبوابهـــا لـــلقائد العثمانى فدخلها باستقبال عظيم فى شهر جمادى الآخـــــرة سنة ٩٤١ هـــ وبعد أيام قليلة وصل السلطان إلى بغداد ودخلها بين التهليل والترحيب والـــتقديس على حسب عادة العراقيين مع كل فاتح . ثم فتحت الجيوش العثمانية مديـــنة الموصل فى السنة نفسها ودانت المدن العراقية كلها للعثمانيين وزالت دولة الصفويين بعد أن حكموا العراق ٢٥ سنة تقريباً، منها نحو سنتين بعد الغارة الأولى الـــتى كانت فى سنة ٩١٤ هـــ وما بقى فهو بعد الغارة الثانية التى حدثت فى سنة ٩٢٠ هـــ .

أما البصرة فأنها كانت يوم مجئ السلطان سليمان تابعة للفرس وكان عليها حاكم فارسي أسمه راشد خان وكان قد بلغه سقوط بغداد وغيرها فخاف على نفسه ومنصبه فسار إلى بغداد للمثول بين يدى السلطان وعرض الطاعة والخضوع وفرق له السلطان فأقره على البصرة على شرط أن تكون الخطبة والنقود بأسم السلطان وأن يكون ممتثلاً لأوامر ولاة بغداد الأتراك فى المسائل الهامة ، فعاد راشد خان إلى منصبه ولكنه بعد قليل أستبد بالأمور كأن لم تكن له رابطة بالعثمانيين فأضطروا إلى إرسال جيش تحت قيادة الوزير إياس باشا لطرد راشد من البصرة فلما قرب الجيش انهزم منها راشد ودخلها الجيش العثمانى وذلك فى سنة ٩٥٣ هـ ، وظلت هذه المدينة فى قبضة الأتراك إلى سنة ١٠٠٥ هـ فأستقل بها أمراؤها ثم أعادها الأتراك إليهم فى سنة ١٠٧٨ هـ ثم تغلب عليها أمير الخويزة فرج الله خان فى سنة ١١٠٩ هـ فطرده الأتراك فى سنة ١١١١ هـ وبقيت فى قبضتهم إلى أن تغلب عليها كريم خان الزندى فى سنة ١١٩٠ هـ ثم عادت للأتراك فى سنة ١١٩٣ هـ وبقيت تحت حكمهم حتى قامت الحرب العامة فأستولى البريطانيون عليها فى سنة ١٣٣٣ هـ .

وبقى العراق فى قبضة العثمانيين ٩١ سنة تقريباً (٩٤٨ هـ - ١٠٣٢ هـ) ثم عاد للصفويين ثم للأتراك .